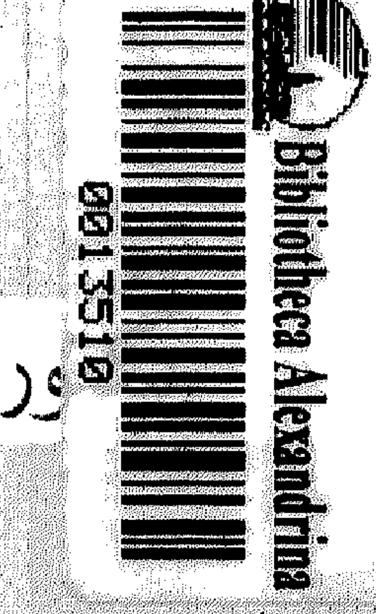
٦٣

ورة آمال فريد



الرومانسية
فى الأدب الفرنسى

اقرأ ٦٣
رئيس التحرير أنيس منصور

دكتورة آمال فريد

الرومانسية
فى الأدب الفرنسى

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

محاولة لتعريف الرومانسية

إن لفظ الرومانسية من الألفاظ التى تتمتع بسحر خاص . فهى توحى بالحس المرهف ، بالشفافية ، بالنقاء الروحى ، بحب الطبيعة والجمال . وهى دائماً مقرونة فى الأذهان بضوء القمر ، بخميلة تضم عاشقين ، ببحر زاخر أو بجدول رقراق . . رومانسى ؟ إنه الشخص الذى تحلق روحه مع الأحلام ، مع الأوهام ، الذى يجيش صدره بكل ما فيه من خلجات ، من نبضات . رومانسى ؟ من يهرب عقله من الواقع المادى ، الحسى ، من يسمو بوجدانه حتى يتصل بخالقه . .

ولكن وراء لفظ الرومانسية أكثر من كل هذه الخواطر ؛ إن له مدلولاً أعمق وأكثر جدية . « فالرومانسية » التى نريد أن نتحدث عنها هنا هى هذه المدرسة الأدبية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر ، ليس فى فرنسا فحسب ، ولكن فى معظم بلدان أوربا مثل إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا .

سنتعرض هنا لتاريخ الحركة الرومانسية فى فرنسا ، وهى الحركة

الأدبية التى يتفق المؤرخون على أنها امتدت بين عام ١٨٢٠ وعام ١٨٥٠ أى حوالى ثلاثين عاماً . ونقول « حوالى » لأنه من الصعب التحديد عندما نتكلم عن مادة حيّة متنوعة ، متقلبة مثل الأدب . ثم إن القرن التاسع عشر فى فرنسا « يعتبر من القرون الأكثر ثراء » لا فى مجال الأدب وحده بل فى مجالات الفن والعلوم والفلسفة والصناعة والتجارة . وإذا كانت فرنسا خلال هذا القرن عرفت أكثر من سبعة أنظم سياسية مختلفة فإن كل تلك التقلبات السياسية قد انعكست أيضاً على الأدب الذى كان دائماً وما زال مرآة صادقة لما يمر به أى بلد من أحداث . إن المدارس الأدبية المختلفة التى توالى ظهورها خلال هذا القرن الحافل – وهى الرومانسية ثم الواقعية ، ثم الرمزية – وإن كانت تبدو متعاقبة إلا أنها فى الحقيقة أقرب منها إلى تيارات تتلاطم وتتداخل وتؤثر فى بعضها البعض .

إن من الصعب تعريف الرومانسية الفرنسية لما تتميز به من تنوع وثراء . على كل ، فهى توصف عادة بأنها رد فعل ضد الكلاسيكية ، فإذا كانت الكلاسيكية تؤمن بالعقلانية فإن الرومانسية تعطى الأهمية الكبرى للقلب والأحاسيس والخيال قبل العقل . وبينما كان الأديب الكلاسيكى يصف الطبيعة ويعنى بذلك الطبيعة البشرية ولا يتكلم عن نفسه ولا يعبر عن ذاته فإن الأديب الرومانسى يتغنى بجمال الطبيعة المحيطة به ويعبر عن مكنون نفسه لأنه يعتقد أنه من خلال ذاته يعبر عن أحلام وآمال وآلام الآخرين . . فى مقدمة ديوانه الغنائى العظيم « **التأملات** »

يخاطب فيكتور هوجو – وهو من أعظم شعراء الرومانسية – قارئه قائلا :
«عندما أكلمك عن نفسى فإنما أكلمك عن نفسك . آه كم أنت مجنون لو ظننت أننى لست أنت ! » .

ومن ناحية أخرى فإن الرومانسية كانت تبغى تحرير الأدب من كل القيود التى كانت الكلاسيكية قد فرضتها على الأديب . فإن قيل إن الرومانسية تعتبر ثورة ١٧٨٩ فى الأدب ! أى أنها كانت بمثابة الثورة الفرنسية التى قلبت النظام الحاكم وحررت الشعب ، فالرومانسية قد قامت بتحرير الأدب .

«أدب ذاتى» و«أدب متحرر» تلك هى الصفات الغالبة على الأدب الرومانسى إذا حاولنا تعريف هذا الأدب فى بضع كلمات . أما الآن فيجدر بنا أن نستعرض معاً تاريخ هذه الحركة الرومانسية التى أعطت لفرنسا أعظم الروائع وأثرت التراث العالمى بأغلى الدرر

الجزء الأول

جذور الحركة الرومانسية ونشأتها

المؤثرات الفرنسية :

عندما يحاول مؤرخ الأدب أن يبحث عن أول بذور الرومانسية الفرنسية فربما يدهش من أنه عليه أن يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر ، هذا القرن الذى يعرف عنه أنه عصر الفلسفة والتنوير . هذا القرن الذى رأى ازدهار الأفكار بصفة خاصة . فحوالى عام ١٧٥٠ تفجّر نبع من الأحاسيس الفياضة أخذت مياهه تتغلغل وسط الأفكار الفلسفية فأضفت عليها الحرارة والحماس . فبعد أن كان كتّاب مثل مونتسكيو وفولتير يؤمنون بالعقل قبل كل شيء ولا يستمعون إلا لتعاليمه وأوامره فإننا نرى كتّاباً آخرين مثل ديدروه وجان جاك روسو يعطون الأولوية للقلب . .

كان ديدروه شديد الانفعال ، ذا حساسية مرهفة ، يبكى كالأطفال من شدة الألم أو عظيم الفرح ! كان يعبر دائماً عن ذاته حتى فى الكتابات الفلسفية التى كانت تتطلب الموضوعية ، فهو لا يمكنه إلا أن يضع نفسه

وقلبه وكل عواطفه فى كل حرف يكتبه .

أما جان جاك روسو فنجد عنده كل مميزات الأدب الرومانسى : التعبير عن الذات ، حب الطبيعة والتغنى بجمالها الذى هو أقوى برهان على وجود الله . كان روسو لا يجد السعادة إلا فى أحضان الطبيعة بعيداً عن قسوة الإنسان ، كان يشعر دائماً أنه مضطهد من كل من حوله ولذلك فهو فى الطبيعة يجد الحماية والطمأنينة بعيداً عن رياء المجتمع وزيفه . لقد كان يؤمن أن الإنسان ولد خيِّراً وطيباً ، ولكن المجتمع هو الذى يفسده ، فعليه أن يعيش وحيداً وسط الطبيعة كى يعيش سعيداً . وفى الطبيعة أيضاً كان روسو يلتقى بالله سبحانه وتعالى ، فجمال الطبيعة يمجد عظمة الخالق . وكذلك كانت الطبيعة الإطار البديع لقصص الحب التى يكتبها روسو ، بل هى تتجاوب مع العشاق : فالشمس تشرق والطيور تغرِّد حين يكونون سعداء والسماء تتلبد بالغيوم ويبكى حزناً إن افترق عاشقان أو تعذب قلبان . .

إذن فنحن نجد كل بوادر الرومانسية منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وهذا ليس فقط فى المعانى والأحاسيس ولكن فى التعبير عنها أيضاً ، أى فى أسلوب الكاتب . فروسو مثلاً كان يختار ألفاظه بمنتهى الشاعرية فضلاً عن الإيقاع الموسيقى الذى أدخله إلى جملته مما جعل النقاد يتكلمون عن « نثره المنظوم » . فمن يقرأ صفحة من صفحات روسو النثرية فكأنه يقرأ قصيدة جميلة حالمة تجعله يحلق مع الخيال

وينفعل بالأحاسيس الفياضة ويطرب للإيقاع الخلاّب . . .

ولكن إذا كان ديدروه وروسو خاصة قد فتحا الطريق للرومانسية فهناك كاتبان آخران كان لهما عظيم الأثر على الحركة الرومانسية وهما دى ستال وشاتوبريان .

عند قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ حاولت مدام جرمين دى أن تلعب دوراً سياسيًّا ولكنها كانت تصطدم دائماً مع الطبقة الحاكمة وخاصة عندما أتى نابليون إلى الحكم ، فقد آثر أن يبعدها عن فرنسا لا كان لا يرتاح إلى نشاطها السياسى المعادى له . ولكن الذى يهمنا هنا دور مدام دى ستال فى الأدب لا فى السياسة . إن هذه المرأه العاب المتحررة كانت تجسِّد فى حياتها الخاصة وفى كتاباتها كل الذين الرومانسية ، بل هى من أوائل الكتّاب الذين استعملوا لفظ « رومانسية فى مؤلفاتهم ، وأول من حاول تعريف الرومانسية . فى كتبها النقدية **عن الأدب وعن ألمانيا** تقوم بتحليل مقوِّمات الرومانسية : الحسن المرهف ، القلق ، الحزن المبهم ، التطلع إلى الله ، حب الطبيعة . وهى تطالب بتحرير الأدب من القيود الكلاسيكية التى كانت تفرض علية تقليد أدب القدماء من كتّاب الإغريق . فهى تريد أن يتجه الأدب الفرنسى إلى مصادر جديدة للوحى ، وهى تفتح آفاقاً جديدة للقرّاء عندما تعرفهم على آداب ألمانيا وعلى عبقرية كتّابها المعاصرين مثل جوتة وشيلر ، كما صورت لقرائها إيطاليا الحديثة التى كانت الرومانسية

بدأت تتغلغل فيها وهذا فى روايتها **كورين** . إن بطلة هذه الرواية لم تكن إلا مدام دى ستال نفسها بعواطفها الملتهبة وحماسها لكل ما هو جديد . إنها تحكى فى هذه الرواية عن ذكرياتها الخاصة من خلال قصة حب البطلة كما تعبِّر عن سخط المرأة ضد القيود التى يفرضها عليها المجتمع ، أى أنها تتبنى قضية تحرير المرأة كما تبنت قضية تحرير الأدب !

لقد كان لمدام دى ستال عميق الأثر على الحركة الرومانسية الفرنسية فدورها فى هذا المجال أكبر من مكانتها كأديبة .

أما الكاتب الذى لم يؤثر فى الرومانسية فحسب بل يُشرف كل الرومانسيين الانتماء إليه لأنه واحد من أعظم كتّاب فرنسا ، فهو شاتوبريان .

لقد ولد «فرنسوا رينيه دى شاتوبريان» فى مدينة سان مالو بشمال فرنسا فى ليلة عاصفة غضبت فيها الطبيعة وبكت السماء ليلة ٤ سبتمبر عام ١٧٦٨ . شب الطفل فى أحضان الطبيعة يلعب مع أخته وأقرانه على شاطىء البحر الذى كان يحلو له أن يستمع إلى هديره وهو يحلم . ومع بلوغه سن الشباب كان يشعر شاتوبريان فى أعماق نفسه بنزعات إلى التشاؤم وإلى الألم ، كان يشعر بحزن دفين لا يعرف له سبباً ، ويشعر بقلق وبرغبة فى الخلاص من حياته . . . إن هذا الحزن الدفين الذى عبّر عنه أجمل تعبير فى كتاباته وخاصة كتاب **رينيه** (فقد أعطى البطل اسمه) . إن هذا الحزن الغامض أصبح من سمات أبطال الرومانسية . وأصبح

يعرف « بمرض العصر » وكان هذا المرض يعتبر شرفاً لمن يصاب به ، لأنه دليل على أنه ليس كالآخرين وأنه يتمتع بحس مرهف وبعواطف فيّاضة ، لذلك فهو يتألم ويتأوه لأتفه سبب بينما الآخرون لا يحسون بنفس الشعور . . . إن بطل شاتو بريان يصدم بالواقع المر : « إن الخيال غني ، خصب وجميل ، بينما الحياة فقيرة ، مقفرة ، مخيِّبة للآمال . إننا نعيش بقلب عامر في دنيا خاوية ، وقبل أن نمارس أي شيء نكره كل شيء » هكذا كان هذا الكاتب العظيم يعبر عن زهده في الحياة التي هي بعيدة كل البعد عن أحلامه وتطلعاته ، لذلك فشاتو بريان يتوق إلى الخلاص من الحياة ، يريد أن ينطلق إلى عالم أفضل يلتقي فيه بخالقه . إن شاتو بريان الذي كان قد ابتعد عن الله في بدء شبابه رجع إلى دين طفولته بعد أن فقد أمه وأخته وأراد أن يكرس قلمه لتمجيد الدين المسيحي في كتابه الشهير « عبقرية المسيحية » . وهكذا سنجد في كتابات الرومانسيين أن الدين والله يحتلان مكانة كبيرة . وإذا تذكرنا أنه خلال القرن الثامن عشر كان الكتّاب قد ابتعدوا عن الدين وعن الروحانيات لانغماسهم في الماديات – فكاتب مثل ديدروه كان يؤمن بالمادة وينكر وجود الله ، أما فولتير فإن كان يؤمن بوجود خالق لهذا الكون فإنه كان قد شهر حرباً دون هوادة ضد الدين المسيحي – إذا تذكرنا كل ذلك سنقدِّر أثر شاتوبريان حق قدره . وقد امتدَّ هذا الأثر إلى مجال حب الطبيعة . لقد رأينا أن روسو كان قد وصفها وصفاً بديعاً ، ولكن الذي

أضافه شاتو بريان كان يأخذ قارئه إلى قارة جديدة ، إلى عالم جديد ، إلى أمريكا إن حب شاتوبريان للمغامرة وللأسفار هو الذى جعله يذهب إلى هذه القارة البعيدة ليكتشفها وليصف جمالها البكر إلى القراء المبهورين الذين وجدوا أنفسهم فى غابات أمريكا من خلال صفحات المؤلف المملوءة بالحياة والجمال الأخاذ ، وكأنهم طاروا إلى هناك على بساط سحرى . . . إن من صفحات شاتوبريان الشهيرة تلك الصفحة التى يصف لنا فيها ليلة قمرية فى السافانا الأمريكية ، فيصف السماء حين تسبح فيها السحب البيضاء الناصعة والترعة التى كانت تتلألأ بضوء النجوم التى تنعكس على صفحة مياهها . «أما ضوء القمر فكان نائماً دون حراك على الأعشاب . . . والأشجار كانت تتمايل مع الهواء ، متناثرة هنا وهناك مثل جزر من الظلام تطفو على وجه هذا البحر الساكن من النور» .

ومن مؤلفات شاتوبريان : **الطريق من باريس إلى القدس** وهو كتاب رحلات يأخذ فيه القراء إلى فينيسيا ثم اليونان ثم القسطنطينية حتى يصل أخيراً إلى فلسطين وإلى المدينة المقدسة ، القدس . أما فى طريق عودته فهو يمر على مصر ثم تونس فأسبانيا . والكاتب يجعلنا نرى جمال الطبيعة فنحن نصعد معه على تلال الأكروبوليس فى اليونان ونبهر معه بعظمة الآثار عند شروق الشمس وهو يصطحبنا إلى الأماكن المقدسة فى مدينة القدس فنشعر بالخشوع على قبر السيد المسيح ونتجول معه فى شوارع المدينة العتيقة . ونحن ننتقل من خلال صفحات شاتوبريان من بلد إلى

بلد ، وكأننا زرنا تلك البلدان ، وهذا لوصفه الرائع الذى يخاطب كل حواسنا : فنرى الوديان والسهول والآثار والجبال ، ونستمع إلى زقزقة الطيور وخرير المياه ونستنشق شذى الأزهار وعبير الأشجار . صدق النقّاد والكتّاب عندما لقبوا شاتوبريان « بالساحر » !

لقد أحس شاتوبريان بأهمية الدور الذى كان عليه أن يلعبه بالنسبة للأدب فى بلده فهو يقف فى مفترق الطرق بين قرنين من أخصب القرون إنتاجاً وأعمقها فكراً — الثامن عشر والتاسع عشر — ولقد قام بهذا الدور خير قيام مؤمناً برسالة الكاتب المقدسة تجاه مجتمعه وتجاه الإنسانية . ولقد اعترف بفضله كل كتّاب عصره الذين وجدوا فيه الأستاذ الذى علم فن الكتابة لجيل بأسره لا لكتّاب وشعراء الرومانسية فقط . أما هؤلاء فكانوا يعتبرونه رائد الرومانسية ووالدها الروحى ، ويكفى أن نذكر أن فيكتور هوجو عندما بدأ يكتب كان يتخذه كمثل أعلى ويقول : « أريد أن أكون شاتوبريان أو لا أكون شيئاً ! » ولقد أصبح هوجو فعلاً من أعظم كتّاب فرنسا ومن أكبر شعراء الرومانسية ، بل هو الذى نجده على رأس الحركة الرومانسية الفرنسية .

وإذا كنّا قد استعرضنا هنا كل من كان له أثر على الحركة الرومانسية من كتّاب فرنسا فيجب أن نبحث أيضاً عن الجذور الأوربية لهذه الحركة التى تعتبر ظاهرة أوربية أخذت غذاءها من بلدان كثيرة .

المؤثرات الأوربية :

منذ القرن الثامن عشر كانت ظاهرة العالمية – أى هذا التبادل الثقافى والحضارى بين الآداب المختلفة عن طريق الترجمات وبفضل سفر الكتّاب أنفسهم من بلد إلى آخر للتعرف على حضارة وثقافة البلاد الأخرى – كانت تلك الظاهرة فى أوج ازدهارها . كان الإشعاع الفكرى الفرنسى ذا أثر عميق فى كل أوربا ، ومن ناحية أخرى كان كتّاب فرنسا يبحثون عن المعرفة أينما يجدونها: فى إنجلترا ، فى ألمانيا ، فى إيطاليا ، فى إسبانيا . وحين نقف على أعتاب القرن التاسع عشر نرى أن حركة تبادل الثقافات هذه قد تعمقت أكثر فأكثر. فتعلم اللغات الأجنبية وانتشار الترجمات والدراسات النقدية التى تقدم إلى الفرنسيين درر الآداب العالمية ، كل ذلك جعل تأثر الأدب الفرنسى بالأدب الأجنبى تأثراً قوياً وفعّالاً .

أثر انجلترا :

أعطت مدام دى ستال كتّاب إنجلترا مكانة خاصة فى كتابها **عن الأدب** وهى معجبة بصفة خاصة بشكسبير الذى سيكون له عظيم الأثر على المسرح الرومانى ، إن دوماس وهوجو وفينيير يعتبرونه أكبر كاتب مسرحى ظهر فى كل العصور ويفضلونه على كتّاب المسرح الإغريقى مثل أسخيلوس وسوفوكليس وأوريبيدوس الذين كانوا المثل الأعلى لكتّاب المسرح الكلاسيكى .

أما شاتوبريان الذى عاش فى لندن عدة سنوات عندما كان دبلوماسيًّا فإنه شديد الإعجاب بميلتون وأوسيان . كما أثر شعراء الرومانسية الإنجليزية مثل بايرون وشيللى وكيتس ووردزورث وكولريدج فى معاصريهم من شعراء الرومانسية الفرنسية . أما فى مجال الرواية فإن أثر ولتر سكوت لا يمكن إغفاله فإن هوجو وفينييه ودوماس قد حذوا حذوه عندما كتبوا رواياتهم التاريخية .

أثر ألمانيا :

إن أثر ألمانيا على الرومانسية الفرنسية لا يقل أهمية . إن ترجمة رائعة جوته **فرتير** نالت إعجاب القارئ الفرنسى وأصبح بطل جوته نموذجاً للشباب الرومانسى الذى يتعذب فى حبه ويندب حظه فى الحياة ويتوق إلى الخلاص من آلامه وإلى الانطلاق إلى عالم آخر مثل بطل شاتوبريان . . . كما أثرت أيضاً مسرحية جوته **فاوست** على المسرح الفرنسى . ولكن الكاتب الذى فاق أثره أثر جوته فى مجال المسرح هو الكاتب الألمانى الشهير شيلر . وقد كان أيضاً لمدام دى ستال الفضل فى تعريف القراء الفرنسيين بأدب وثقافة وحضارة ألمانيا ، ومما ساعد على ذلك ازدهار حركة الترجمة . فقد ظهر فى فرنسا كتاب بعنوان : **روائع المسرح العالمى** يضم ترجمات لمسرحيات جوته وشيلر بجانب شكسبير وكالديرون . كذلك ترجم إلى الفرنسية كتاب الناقد الألمانى المعروف شليجيل الذى كان يقدم أيضاً كتّاب المسرح الألمانى .

أثر إيطاليا :

وجد القارئ الفرنسى أثر إيطاليا فى رواية مدام دى ستال كورين . لقد عرفت الكاتبة الشاعرين مونتى والفيرى ، وهما من شعراء الرومانسية الإيطالية ، مثل بايرون فى إنجلترا . أما من شعراء الماضى الذين كان لهم عميق الأثر على شعراء الرومانسية فمنهم دانتى وبترارك (من كتّاب القرنين الثالث عشر والرابع عشر) . كان لامرتين مغرماً بأشعار بيترارك بينما نال دانتى إعجاب الجميع ، وهم يعتبرونه من أعظم شعراء إيطاليا والإنسانية جمعاء . أما الشاعر الإيطالى ليوباردى وهو من الرومانسيين المعاصرين للرومانسية الفرسية فقد أثر بصفة خاصة على ألفريد دى موسيه . وسيظل أثره حتى عام ١٨٥٠ وكانت أشعاره يغلب عليها طابع الحزن . فقد كان يؤمن مثل موسيه أن الألم والعذاب يوحيان إلى الشاعر بأجمل أشعاره . أما فى مجال المسرح ، فمن كتّاب المسرح الإيطالى المعاصر المرموقين الكاتب ما نزونى الذى كان يقدم مسرحياته فى نفس السنوات التى قدم فيها كتّاب المسرح الفرنسى مسرحياتهم . ومن الكتب التى ترجمت إلى الفرنسية ونالت إعجاباً شديداً كتاب سيلفيو بيليكو الذى كتب وهو فى السجن . وقد تأثر القراء لمأساة هذا الكاتب الذى قضى تسع سنوات من عمره بين جدران السجن دون أى ذنب اقترفه ولمجرد أنه كان أحد المساندين لحركة توحيد إيطاليا . لقد كان القرّاء فى فرنسا يبدون اهتمامهم بالحركة الوطنية الإيطالية ويؤيدونها ، أى أن الأحداث التى كانت تدور فى هذا البلد

المجاور لهم كانت تثير رد فعل عند الفرنسيين ، وهكذا نرى أن حركة الترجمة ومعرفة اللغات الأخرى كانت قد قرَّبت بين البلدان وألغت الحواجز والحدود .

أثر إسبانيا :

كان هناك أكثر من نقطة تقارب بين الأدب الإسبانى والرومانسية الفرنسية . عرف القارىء الفرنسى القصص الشعبية الإسبانية القديمة حين ترجمت إلى الفرنسية مجموعة هذه القصص ، وهى تسمى « رومانسيرو » وكذلك قرأ ترجمة قصة سرفانتيس الشهيرة دون كيشوت (وقد عاش هذا الكاتب بين القرنين السادس عشر والسابع عشر) . كما نجد أن أحداث أشهر مسرحيات هوجو **هرنانى وروى بلاس** تدور فى إسبانيا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . أما الكاتبان جوتييه ودوماس فهما يصفان فى كتاباتهما رحلتهما إلى إسبانيا . لكن الأدب الإسبانى المعاصر (أى الذى نشر فى القرن التاسع عشر) لم يؤثر فى الرومانسية الفرنسية كما أثر فيها كتّاب إنجلترا وألمانيا وإيطاليا .

لقد حاولنا أن نصل إلى جذور الرومانسية الفرنسية ودرسنا المؤثرات الفرنسبة والأجنبية التى كانت وراء ظهورها ، ولكن هل الرومانسية فرضت نفسها منذ نشأتها ، أو اضطرب إلى الصراع كى تثبِّت أقدامها . وضد من قاد أنصار الرومانسية معركتهم ؟ !

الجزء الثانى

نضال الرومانسية (١٨٢٠ – ١٨٣٠)

إذا كان من الصعب تعريف الرومانسية بشكل قاطع – أى أن هناك أكثر من محاولة لتعريفها – فعلى الأقل من المتفق عليه أنها ثورة فى طريقة الإحساس والتفكير والتعبير. ومادام هناك ثورة فيجدر بنا أن نتساءل : ضد من كانت الثورة وضد من كانت المعركة ؟ لقد كانت الثورة ضد كل القيود التى فرضتها الكلاسيكية ، وبالتالى فالمعركة كانت بين أنصار الرومانسية وأنصار الكلاسيكية ، فمنذ ظهور الرومانسية وأنصارها قد قرروا أن يخالفوا أنصار الكلاسيكية فى كل شىء !

فبينما الكلاسيكية كانت تعطى العقل الأولوية على القلب والأحاسيس ، بمعنى أن العقل هو الذى يوجه حياة الإنسان وهو الذى يرشده إلى الصواب نجد أن القلب والأحاسيس والخيال هى التى تسيطر على الفكر ، وتعاليمها هى المطاعة عند كتّاب الرومانسية . وبجانب الثورة فى التفكير هناك الثورة فى التعبير ، أى فى طريقة الكتابة . إن كتّاب الكلاسيكية كانوا مقيدين بقوانين شتى فهناك قوانين خاصة بالتراجيديا

وقوانين خاصة بالكوميديا وقوانين أخرى للشعر . أما أنصار الرومانسية فيتورون ضد كل مايقيد التعبير منادين بالتحرر الكامل . فالكاتب من الآن فصاعداً يعبر عن ذاته ، وأحلامه ، عن حبه وعن بغضه ، عن تطلعاته الفلسفية والسياسية والاجتماعية . وإن كان من خلال كتاباته الذاتية يعبر أيضاً عن مشاعر الإنسانية بأسرها . أما الكاتب الكلاسيكي فقد كان يتكلم عن المجموع ويلغى كل ما يميز الفرد عن الآخر ليهتم بالإنسان كلاسيكى إذن من يعبر عن الإنسان الخالد فى كل زمان ومكان . روماسى : من يعبر عن ذاته، من يفتح قلبه ويكشف عما يختلج فى صدره من أحاسيس . . وهذا ما وحده القراء فى القصائد الرائعة التى نشرها الشاعر الشاب الفونس دى لامرتين فى ديوانه الشهير **التأملات** .

التأملات (مارس ١٨٢٠) :

إن هذا التاريخ لا ينسى فى تاريخ الحركة الرومانسية ، فهو تاريخ نشر أول ديوان شعر غنائى فيه كل « تيمات » الرومانسية : التعبير عن الذات ، الحب ، الموت ، التغنى بالطبيعة ، الاتصال بالله . . نال هذا الديوان إعجاب الجماهير العريضة ، فقد بيع أكثر من عشرة آلاف نسخة من الكتاب خلال سبعة أشهر ! لقد جاء ديوان التأملات للامرتين فى وقعه ليروى ظمأ القراء المتعطشين لكل ما يمس القلب ويخاطب الوجدان . كانوا يبحثون عن انفعالات تبكيهم فبكوا مع لامرتين عندما

فقد معشوقته مدام جولى شارل التى خلّدها الشاعر تحت اسم «الفير» . .
لقد اصطحبهم الشاعر على شاطئ بحيرة ليمان ، على نفس هذا الشاطئ
الذى رآه مع حبيبته والذى عاد إليه وحيداً بعد أن اختطفها الموت .
وانفعل القرّاء أيضاً مع لامرتين وهو يتجول فى الطبيعة الحزينة فى فصل
الخريف ، فى الطبيعة التى تشارك الشاعر آلامه فنراها شاحبة صامتة
لا نستمع فيها إلى شدو الطيور ، بل إلى أنين الرياح بين الأغصان
الجرداء . فالطبيعة عند لامرتين هى نفس الطبيعة التى كان يحتمى فيها
روسو ويجد فيها البلسم لأحزانه . إنها الصديقة الوفية والأم الرءوم التى
تفتح ذراعيها لابنها الملتاع وتمسح دموعه .

«إن الطبيعة هناء من حولك . تدعوك وتحبك
فارتم على صدرها الحنون . فهو دائماً مفتوح لك
عندما يتغير كل شىء من حولك فالطبيعة لا تتغيّر
ونفس الشمس تشرق على أيامك . . .»

فليعذر القارئ هذه الترجمة المتواضعة التى لا يمكن إلا أن تخون
الجمال الأصلى للمعانى والإيقاع الموسيقى البديع الذى هو من مميزات شعر
لامرتين . إنها مجرد محاولة نعرف مقدماً أنها لن تعطى إلا فكرة بسيطة عما
فى هذا الشعر من إحساس مرهف . . ونجد أيضاً عند لامرتين ما وجدناه
فى كتابات شاتوبريان من نزعة إلى الانطلاق نحو عالم أفضل يلتقى فيه

بخالقه ، فالإنسان عند لامرتين يعتبر منفيًّا يتوق إلى العودة إلى عالمه الأصلى .

«إن الإنسان إله قد سقط (على الأرض) ويتذكر السماء» . . إنه يتذكرها بلوعة وحنين ، بحنين الذى فقد وطنه الأول ويحلم بيوم العودة .

لقد وجدت أشعار لامرتين تجاوباً عظيماً لدى قراء مجتمع ممزق عاش أحداث الثورة الفرنسية ، ثم الإمبراطورية (إمبراطورية نابوليون بما فيها من حروب مجيدة وأيام تعيسة على السواء) . كان هذا المجتمع قد قرأ شاتوبريان وولع بما وجد عنده من أحاسيس ، ولكن بالرغم من جمال نثره المنظوم كان القراء ينتظرون ظهور الكاتب الذى يضفى على تلك الأحاسيس موسيقى وإيقاع الشعر . كانوا محتاجين إلى شاعر يعبر فى قصائده عما يجيش فى صدورهم ، فجاء لامرتين فى الوقت المناسب ووجدوا عنده صدق الإحساس وجمال التعبير . إنه يقول بأنغام ملائكية وكلمات ساحرة ما يعجزون عن الإفصاح عنه . وهنا كان هذا الاستقبال الحافل الذى لاقاه ديوان **التأملات** عند ظهوره . إن تاريخ مارس ١٨٢٠ كان بمثابة تاريخ ميلاد الرومانسية . وإن كان لامرتين نفسه لا يريد أن يأخذ مكانه صراحةً بين صفوف أنصار الرومانسية .

بالرغم من هذا النجاح الساحق الذى حققه ديوان لامرتين فهذا لم يكف إطلاقاً لتثبيت أقدام الرومانسية : إنه مجرد أول انتصار على طريق طويل من الكفاح . لقد استغرق هذا النضال عشر سنوات تخللتها

انتصارات وانتكاسات حتى وصلت الرومانسية إلى النصر الأكيد عام ١٨٣٠ . أما الذى قاد أنصار الرومانسية حتى الظفر ، والذى يعتبر بحق رائد الرومانسية ، فهو الشاعر العظيم فكتور هوجو . ولكن هو أيضاً لم يضطلع بهذا الدور القيادى إلا بعد عام ١٨٢٧ . فما الذى حدث للرومانسية من ١٨٢٠ حتى ١٨٢٧ ؟ !

صراع الرومانسية (١٨٢٠ – ١٨٢٧) :

سنستعرض معاً الأزمات التى مرّت بها الرومانسية والصراعات التى خاضتها ، ونسجل ما حققته وكيف كانت تستخلص الأرض شبراً شبراً من تحت أقدام أنصار الكلاسيكية ! لأن فرنسا كانت مهداً للعقلانية الكلاسيكية ، فإن مقاومة أنصار الكلاسيكية للأفكار الجديدة كانت أعنف منها فى أى بلد أوربى آخر . ثم الذى عطّل أيضاً تقدم الرومانسية هو أن أنصارها كانوا فى بادىء الأمر منقسمين على أنفسهم بين رومانسيين محافظين ورومانسيين متحررين (ومن الملاحظ أن الكتّاب المحافظين سياسياً كانوا أيضاً أقل تحرراً من الذين كانوا متحررين سياسياً وأدبياً) . وكان لكل مجموعة جريدتها وندوتها الأدبية الخاصة . ففى عام ١٨٢٣ تأسست جريدة «الموز الفرنسية» (أى آلهة الشعر الفرنسية) ونشر فيها أنصار الرومانسية نماذج من شعرهم ومقالات نقدية تبرز الأفكار الجديدة وتثور ضد قيود الكلاسيكية . بينما نشر رومانسى متطرف مثل الكاتب

الروائى ستاندال فى نفس هذا العام (١٨٢٣) كتابه راسين وشكسبير الذى نوه فيه بعظمة شكسبير منادياً بالتحرر من القيود التى كانت مفروضة على التراجيديا الفرنسية ويمثلها الكاتب المسرحى العظيم راسين. أثار كتاب ستاندال وتطرف أفكاره أنصار الكلاسيكية ، فشنوا حرباً شعواء على الرومانسية ، بل أثارت تلك الأفكار الأنصار المحافظين من الرومانسيين أنفسهم الذين كانوا يكتبون فى «الموز الفرنسية» . وعند اختفاء هذه الجريدة ، عام ١٨٢٤ ، أخذوا يلتقون فى الندوة الأدبية التى يديرها شارل نوديين فى مكتبة «الإرسنال» . ومن ناحيتهم كان الرومانسيون المتطرفون لهم ندوتهم الأدبية الخاصة وجريدة جديدة أسسوها عام ١٨٢٤ باسم «الجلوب» .

واحتدم النقاش بين أنصار الكلاسيكية وأنصار الرومانسية على صفحات الجرائد وتطورت المعارك بينهم . ونجد فى كتاباتهم ألفاظاً مثل «الحرب» و «الجبهة» و «الهجوم» تدل على ضراوة الصراع المشتعل بين الجبهتين ! والجدير بالذكر أن رئيس المجمع الفرنسى كان له أيضاً موقفه ، وقد كان فى صف أنصار الكلاسيكية ويهاجم الرومانسية التى «لا حياة حقيقية لها» فى نظره ، بينما الملك مثلاً (شارل العاشر آن ذاك) من المتحمسين للرومانسية ونراه يهدى أرفع أوسمة الدولة (اللجيون دونور : وسام الاستحقاق) إلى لامرتين وهوجو ! وهكذا نرى أن أنصار الرومانسية يتقدمون ، ربما ببطء ، ولكن فى خطى حثيثة نحو النصر .

وفى يوم ٢ أبريل عام ١٨٢٥ طلعت جريدة الجلوب (لسان حال الرومانسيين المتطرفين) بمقال تطالب فيه بثورة جذرية فى مجال الأدب مثل الثورة السياسية التى قلبت نظام الحكم فى فرنسا. قال محرر هذا المقال إن الأدب فى حاجة هو الآخر إلى ١٤ يولية ! إنه فى انتظار هذا اليوم المرتقب. ومحاولاً تعريف الرومانسية فى بضع كلمات قال الكاتب : «إنها التحرر فى الآداب والفنون».

وأخيراً، فى عام ١٨٢٧، يتحد أنصار الرومانسية ويلتفّون حول هوجو الذى يصبح فعلاً قائدهم منذ ذلك التاريخ ويتصدر ندوتهم الأدبية «السيناكل»، وفى نفس هذا العام ينشر هوجو مسرحيته كرومويل التى لم يقدّر لها أن تقدم على خشبة المسرح، ولكن سيصبح لمقدمتها شأن عظيم، أى شأن : فقد اعتبرها كل الرومانسيين، بعد توحيد صفوفهم، ميثاق الرومانسية الفرنسية !

مقدمة كروميل (١٨٢٧)

تنقسم هذه المقدمة إلى ثلاثة أجزاء :

(١) أصل الدراما : المراحل الثلاث فى حياة الشعر

كما يمر الإنسان فى حياته بثلاث مراحل : الطفولة ، الشباب ، الشيخوخة ، هكذا مر المجتمع بثلاث مراحل شهدت ازدهار الشعر فى أشكاله الثلاثة : الشعر الغنائى (طفولة الشعر) الملحمة (شباب الشعر) والدراما (شيخوخة الشعر) . فالدراما إذن هى وسيلة التعبير عن المجتمع فى العهد الحديث أى فى القرن التاسع عشر . ويتحدث هوجو عن الدين المسيحى وكيف أنه جاء بعد الوثنية وكشف للإنسان عن طبيعته المزدوجة . ففى داخله يتصارع الجسد والروح ، الخير والشر ، الظلام والنور . إن المسيحية تعبِّر عن الإنسان ككل . وعلى الشعر أيضاً أن يخلط بين الظلمات والنور ، بين الرفيع والوضيع بين الدموع والضحك . وهكذا فالدراما يجب أن تأخذ من التراجيديا والكوميديا معاً .

(٢) الدراما هي الشعر المتكامل :

إن الدراما تعبر عن الإنسان بكل ما فيه من تناقضات ، فهى تقدم السامى والمضحك معاً كما يختلطان فى الواقع . إن الدراما مرآة تعكس الطبيعة : إن كل ما فى العالم ، فى التاريخ ، فى الحياة وفى الإنسان ، كل شيء ينعكس فى هذه المرآة بفضل العصا السحرية التى يمسك بها الفن . وعلى الشاعر أن يختار بين النماذج التى يلتقى بها فى الحياة وبين الأشياء التى يصادفها . عليه أن يختار لا ما هو جميل ورفيع ، بل ما هو مميّز ، وهذا كى يحافظ على طابع هذه الحقبة الزمنية التى يصورها فنحس أننا انتقلنا معه إلى عصر آخر ، وفى أجواء غريبة وفى عالم جديد .

(٣) أسلوب التعبير فى الدراما : الشعر :

ويريد هوجو أن يتحرر الشعر من قيود الكلاسيكية وإن كان يحتفظ بالقافية . إن أهم ما أدخله الرومانسيون على الشعر من تجديد كان فى مجال الإيقاع خاصة فقد طوّعوا بيت الشعر وجعلوه أكثر مرونة كى يعبّر عن مختلف الأحاسيس .

هذا باختصار ما قدمه هوجو من أفكار فى هذه «المقدمة» الشهيرة التى فاقت شهرتها قيمتها ولعل أهميتها تكمن فى أنها تعتبر ميثاق الرومانسية . . .

ومن ضمن الكتب التى صدرت حينذاك وكان لها بعض الأثر على

الصراع الرومانسى – الكلاسيكى كتاب الناقد سانت – بوف وهو : **دراسة عن الشعر الفرنسى فى القرن السادس عشر** . فقد ربط الناقد بين المدرسة الرومانسية الجديدة وبين مدرسة الشعر الغنائى الفرنسى فى القرن السادس عشر ، وهى المدرسة المعروفة باسم «البلياد» وهى التى أعطت فرنسا شعراء من أعظم شعرائها ، مثل رونسار ودى بيللى . وبذلك أعطى الناقد أهمية كبرى للحركة الشعرية الوليدة حين يقول إنها امتداد للشعر الغنائى الذى ظهر فى القرن السادس عشر ، ثم سكت صوته خلال قرنين وها هوذا قد عاد إلى الغناء على أنغام القيثارة التى كان الشعر قد فقدها ثم رُدت إليه أخيراً بعد طول غياب . . . وينهى الناقد كتابهُ بأن يُحيِّى فى الرومانسية الفرنسية فجراً جديداً لعصر مجيد يزدهر فيه الأدب وتتحرر الأذهان .

ولكن برغم كل هذا الإطراء ، فالرومانسية لم تنتصر بعد ! إن المعارك مستمرة بين أنصارها وبين أنصار الكلاسيكية ، ثم إنها حتى الآن لم تنتج الروائع التى يمكن أن تعزز موقفها ، فالكلام النظرى والمقالات النقدية لا تكفى . . . وكما قلنا فسرحية **كرومويل** لم تُمثل على المسرح ولم تحظ باهتمام القرّاء . كان يتحتم إذن على كتّاب الرومانسية أن يقدموا إلى المسرح الفرنسى روايات تثبت مقدرتهم على منافسة كتّاب الكلاسيكية فى المجال الذى برعوا فيه وهو المسرح بعد أن أدان الرومانسيون التراجيديا الكلاسيكية !

ونزل إسكندر دوماس الأب إلى حلبة المصارعة بمسرحية : **هنرى الثالث وبلاطه** التى مُثلت يوم ١١ فبراير عام ١٨٢٩ . ونالت المسرحية نجاحاً جماهيرياً لا بأس به ، وتلاه ألفريد دى فينييه الذى قدم نسخة فرنسية جديدة لرائعة شكسبير **عطيل** . مثلت روايته يوم ٢٤ أكتوبر من نفس العام واستقبلت استقبالاً حافلاً وإن حاول بعض أنصار الكلاسيكية مهاجمة الرواية فى جرائدهم ساخرين من لغة الكاتب القريبة من العامية . فاضطر فينييه إلى الرد على نقاده فى خطاب مفتوح موجه إلى لورد إنجليزى مزعوم يشرح فيه وجهة نظره ولماذا اختار مسرحية شكسبير هذه ، ولماذا يحاول أن يكتب فى لغة مبسَّطة تخاطب الجماهير وتجعلهم يحسون أن ما يدور على المسرح قريب جداً من حياتهم اليومية .

بعد نجاح هاتين المسرحيتين أحس أنصار الرومانسية أنهم يتقدمون، فعلاً على طريق النصر ، بل كتب هوجو– وكأنه قائد غداة المعركة يتكلم عن جبهة العدو– « لقد فُتحت الثغرة وسوف نمرّ ! » ولكن ساعة المعركة الفاصلة لم تحن بعد ، ومازال النقد المرير يوجه إلى أنصار الرومانسية على صفحات الجرائد والمجلات . . . وسيكون لفكتور هوجو الشرف العظيم أن يقود أنصار الرومانسية حتى النصر الباهر والأكيد .

الجزء الثالث

ازدهار الرومانسية (١٨٣٠ – ١٨٤٠)

١– الانتصار فى معركة هرنانى (١٨٣٠)

ستظل معركة هرنانى علامة مضيئة فى تاريخ الحركة الرومانسية فهى الحد الفاصل بين مرحلة نضال طويل ومرير ، وبين مرحلة ازدهار أنتجت فيها الرومانسية روائعها فحققت كل الآمال التى كانت معلقة عليها وأوفت بكل الوعود .

كان يوم ٢٥ فبراير ١٨٣٠ اليوم الذى يرتقبه كل الرومانسيين ، فهو يوم تقديم مسرحية هوجو هرنانى على خشبة المسرح . استعدّ أنصار الرومانسية لهذا اليوم وكأنهم يستعدون لمعركة ، فهم يعرفون أهمية هذا الانتصار بالنسبة لحركتهم الناشئة . ومما هو جدير بالذكر أن أبطال المسرحية أنفسهم (وعلى رأسهم الآنسة مارس) كانوا من أنصار الكلاسيكية فكانوا يمثلون دون أى اقتناع ، بل يعملون على إسقاط المسرحية فكم مثلوا من روائع التراجيديا الكلاسيكية ! أما النقاد فكانوا أيضاً منقسمين إلى فريقين ، وكان هوجو قد بعث فى صالة العرض بفريق

من أصدقائه مستعدين للتصفيق الحاد . كان أنصار الرومانسية يلبسون الجيليه الأحمر وشعرهم ينسدل على أكتافهم وقد أطلقوا لحاهم بينما أنصار الكلاسيكية يتميزون بالملبس الوقور والوجه الحليق والشعر القصير ، بل أحياناً بالرأس الأصلع ! أظن أن أفضل وصف لهذه المعركة هو الوصف الذى تركه لنا الكاتب تيوفيل جوتييه فى كتابه **تاريخ الرومانسية** الذى نشر عام ١٨٧٢ . لقد كتب يقول :

«إن نظرة واحدة على هذا الجمهور كانت كافية ليوقن المرء أن هذا العرض المسرحي لم يكن عرضاً عاديًّا . إن نظامين أو حزبين أو جيشين بل حضارتين كانا يتواجهان ؛ الواحد يكره الآخر من كل قلبه كما يحدث فى الخصومات الأدبية ، كل واحد منهما يريد المعركة ، كل واحد يتربص بالآخر يريد أن ينقض عليه» هكذا كان الجو عاصفاً فى هذا العرض المسرحى التاريخى . وبالرغم من الطماطم التى انهالت على الممثلين عند انتهاء المسرحية وبالرغم من صفير أنصار الكلاسيكية واستنكارهم لبعض الألفاظ التى اعتبروها نابية ولا تتمشى مع ما ينبغى أن يكون عليه المسرح من وقار ، فقد انتهت المسرحية بالتصفيق المدوى وبالهتاف لهوجو رائد الرومانسية .

لقد انتصرت أخيراً الرومانسية فى هذا اليوم المشهود يوم ٢٥ فبراير ١٨٣٠ ، ولم يبق إلا أن تعزز مكانتها بأن تنتج الروائع التى كان الجمهور يرتقبها فتكون بذلك عند حسن ظن القراء المتعطشين لكل ما هو جديد

والذين كانوا ينتظرون أن يجدوا فى مؤلفات الرومانسية التعبير الصادق عما يضطرم فى قلوبهم من أحاسيس .

وإذا كان عام ١٨٣٠ عام انتصار الرومانسية فقد كان أيضاً ، فى المجال السياسى ، عام الثورة التى أطاحت بالملك شارل العاشر ، وجاءت بالملك لويس فيليب الذى حاول أن يعطى الشعب مزيداً من الحرِّيات . لقد حاول الملك أن يتقرّب شخصيًّا من الشعب ، فكان يتجول فى شوارع باريس ممسكاً بمظلته كأى فرد عادى ! كما أرسل أولاده إلى المدارس القومية كي يختلطوا بالتلاميذ الذين فى مثل سنهم . وهكذا نرى أن حركة التحرر فى الأدب واكبت حركة تحرر أخرى فى السياسة ، وبذلك يعتبر الأدب الرومانسى أدباً ثوريًّا ، ولذلك فهو يتبنّى كل القضايا الاجتماعية التى شغلت الأذهان ويقوم أدباء الرومانسية بدور بنّاء فى مجتمعهم ، بل إن لامرتين وهوجو يدخلان إلى مجلس النواب ومعهما يغزو الشعر الحياة النباتية . . .

٢ – من روائع الأدب الرومانسى :

بعد انتصارهم العظيم فى «موقعة» **هرنانى** كان أدباء الرومانسية يعلمون أن أنصار الكلاسيكية مازالوا متربصين بهم ، ينتظرون أقل هفوة كي يسخروا من هؤلاء الذين تصوّروا أن بعد الأدب الكلاسيكى يمكن أن يكون هناك أدب . . .

وشمر كتّاب الرومانسية عن سواعدهم وأخذوا يقدمون إلى الجماهير مجموعة من الروائع فى كل فروع الأدب : فى الشعر ، فى المسرح ، فى الرواية ، فى التاريخ . ونحن نحتاج إلى مجلدات ومجلدات لكى نقدم إلى القرّاء هذا الإنتاج الأدبى الوفير ! لذلك سنكتفى هنا بأن نستعرض - بالاقتضاب الذى يفرضه علينا نوع هذه الدراسة التى تعطى صورة عامة للرومانسية - أهم روائع هذا الأدب الرومانسى .

فى الشعر :

أغلب الظن أن أشهر مافى إنتاج الرومانسية وأول ما يتبادر إلى ذهن القارئ عندما يسمع لفظ رومانسية هو طبعا الشعر الرومانسى الذى تألق فيه أربعة من أعظم شعراء فرنسا : لامرتين ، هوجو ، فينييه وموسيه .

لقد سبق أن التقينا هنا بلا مرتين عندما تكلمنا عن ديوان **التأملات** والأثر العميق الذى تركته أشعار لامرتين فى الأذهان وفى القلوب . . . وقد أعقب هذا الديوان دواوين أخرى نجد فيها نفس الحس المرهف ونفس الولع بالطبيعة الصديقة والأم ، كما نجد الله سبحانه وتعالى فى كل صفحة . فعندما يتكلم الشاعر عن الحب فإنما يقول إن الحب الإنسانى هو أولى المراحل التى تصل بنا إلى الله ، فالحب الإلهى هو الغاية السامية لكل المحبين . وعندما يكون الشاعر متألماً يائساً فهو يتجه نحو الله عز وجل طالباً عطفه وغفرانه وهو يتقبل المشيئة الإلهية راضياً حين تحل به فجيعة ، كما

أنه – مثل جان جاك روسو – يجد الله فى الطبيعة ، فهو يرى الخالق فى جمال مخلوقاته . وغير هذا الشعر الغنائى النابع من القلب والذى يخاطب وجدان القارئ ، فقد أراد لامرتين أن يقدم ملحمة شعرية ، وكان له فى هذا المجال . تجربتان هما : **جوسلان** و **سقوط ملاك** وقد نجحت الأولى أما الثانية فلم تلاق نفس النجاح . لقد قدم فى **جوسلان** ملحمة التضحية والفداء وسط جمال الطبيعة : إن البطل يضحى بحبه بعد أن يصبح قسيساً وهب نفسه للرب ، وفى نهاية الملحمة يلتقى بالفتاة التى أحبها وهى تحتضر فيسهر بجانبها حتى تلفظ النفس الأخير فيدفنها فى مغارة فى جبال الألب . لقد وجد القارئ فى هذه الملحمة نفس الأشعار البديعة والموسيقى الرائعة التى كان يجدها فى شعر لامرتين الغنائى . أما **سقوط ملاك** فتحكى قصة ملاك اضطر لخطيئته أن يتجسد ويعيش على الأرض فى وسط مجتمع منغمس فى الماديات ، فى وسط عالم لا يعرف الله ومنصرف إلى ملذاته فقط . . . وقد عاب النقّاد على هذه الملحمة الطول الزائد فى بعض الفقرات والمبالغة أحياناً ، فقد أكثر المؤلف من المشاهد الخيالية البعيدة كل البعد عن الواقع . أما حسنات الملحمة فهى طبعاً فى جمال الأشعار وبداعة الوصف .

وفى عام ١٨٣٧ اتجه لامرتين فى أشعاره إلى القضايا الاجتماعية فقد كان قد دخل المجال السياسى واشترك فى الحياة العامة وأحس أنه تقع على عاتقه رسالة مقدسة تجاه مجتمعه وهى العمل على إسعاد مواطنيه والتعبير

عن آلامهم وتطلعاتهم . وأخذ يطالب فى أشعاره ، بمجتمع مبنى على الإخاء والمساواة . ولقد وجد النقّاد فى أشعار لامرتين هذه نفس الهفوات اللغوية التى كانوا دائماً يعيبونها عليه . فهو عندما يكتب يترك نفسه للوحى ولا يدقق فى اختيار الألفاظ ولا القوافى . كما عابوا عليه أنه لا يعطى وصفاً دقيقاً بل يصطبغ الوصف عنده بالعمومية ، فهو مثلا يصف بحيرة ما أو وادياً أو ليلة مقمرة ،. أى ليلة . . . ولكن لعل هذا ماكان يعجب القراء ، فكل واحد منهم يرى نفسه مكان الشاعر ويشعر أن لامرتين يعبّر عن أدق خلجاته ، أما أهم مميزات لامرتين شاعراً فكانت دون شك الهارمونى التى تنبعث من أشعاره فتهدهد الروح والعقل معاً . . .

هذه مجرد نبذة عن واحد من أكبر شعراء الرومانسية مازلنا نحب أن نقرأ أشعاره فنجد فيها أنفسنا !

أما فيكتور هوجو فبجانب الدور القيادى الذى قام به على رأس أنصار الرومانسية فهو يعتبر واحداً من أعظم شعراء فرنسا لا الرمانسية فحسب .

كان إنتاج هوجو غزيراً وفى كل أنواع الشعر . فى الشعر الغنائى قدم أكثر من اثنى عشر ديواناً من أهمها : **أوراق الخريف** (١٨٣١) **الأصوات الداخلية** (١٨٣٧) **الأشعة والظلال** (١٨٤٠) **التأملات** (١٨٥٦) وقد كتب هذا الديوان بعد اندثار الرومانسية كحركة أدبية ، ولكنه بحق أجمل دواوين شعر هوجو الغنائى ، بل من أجمل أشعار الرومانسية . وفى

الهجاء كتب هوجو ديوان **العقابات** (١٨٥٣) وهو الذى يهجو فيه الإمبراطور نابليون الثالث . الذى يلقبه بنابليون الصغير . نسبة إلى نابليون الأكبر . وهو نابليون الأول . أما فى مجال الملحمة فقد كتب هوجو رائعته «**أسطورة القرون**» التى نشرها على ثلاث دفعات (١٨٥٩ - ١٨٧٢ - ١٨٨٣) . وقد أراد الشاعر أن يحكى فيها تاريخ الإنسانية منذ القرون السحيقة حتى العصر الحديث . وهو يؤمن أن الإنسانية فى تقدم مستمر . ولذلك فإن مسيرة الإنسان هى رحلة من الظلمات إلى النور . فالأجيال المتعاقبة تسلم الى بعضها بعضاً مشعل الحضارة . ويعتبر هوجو من الشعراء المتفائلين . فهو دائم الأمل فى غد أفضل . فى عالم تسود فيه الحرية والحب والسلام .

وإذا كان لنا أن نتحدث هنا عن أجمل دواوينه وأقربها إلى قلوب القراء فلا يسعنا إلا أن نختار ديوانه الشهير **التأملات** . ينقسم هذا الديوان إلى جزءين : أمس واليوم «وبينهما هوة سحيقة : القبر» فى هذا القبر ترقد ابنته ليوبولدين وزوجها شارل فاكرى ، وقد لقيا حتفهما فى أثناء نزهة على النهر إذ انقلبت بهما المركب وغرقا فى الحال . وقد كان لهذه الفجيعة أعمق الأثر فى قلب الأب المكلوم . وقد ألهمته أشعارا تهز مشاعر القارئ وتنفذ إلى قلب أى أب ، أو أى أم ، فقدا فلذة كبدهما .

يعتبر ديوان **التأملات** نموذجاً للشعر الغنائى الرومانسى فى فرنسا . ويقول عنه الشاعر إنه «مذكرات روح» . . . وهو أيضاً قصة حياه ،

حياة هوجو وحياة كل إنسان له قلب ينبض بالحب ، بالفرح ، بالألم ، بالإيمان .

نجد فى هذا الديوان قصة حبه لزوجته أديل ، نجد فيه أشعاراً يدافع فيها عن الفقراء والمحرومين وخاصة الأطفال منهم الذين فرضت عليهم الحاجة أن يعملوا وهم بعد فى عمر الزهور ، وهذا فى قصيدته الشهيرة «ميلانكوليا» وفى الكتاب الرابع وهو الجزء الذى كرسه الشاعر لذكرى ابنته نلتقى بها وهى بعد طفلة صغيرة ظهرت كالفجر المنير فى حياة والدها ، تدخل إلى حجرته كل صباح كشعاع من الشمس وتتمشى معه فى الطرقات باحثة عن الزهور ، مستمعة إلى شدو الطيور ، تعطى للفقراء الحسنة فى الخفاء . . . كانت البسمة ، كانت الأمل ، كانت الملاك الحانى . وفى عينيها يرى الأب زرقة السماء الصافية ، بل يرى الله . . .

ثم كان اليوم المشئوم وفقد الأب صوابه حين قرأ النبأ بالمصادفة فى الجريدة اليومية فى صفحة الحوادث !

«آه لقد كنت كالمجنون فى أول الأمـــر
وبـكيت بحـــرقة ثلاثة أيـــــام
... كنت أتخيّل أن كل ذلك ماهو إلا حلم فظيع
إنها لا يمكن أن تكون قد تركتنى هكذا
يخيل إلىّ أنها تضحك فى الحجرة المجاورة
وأنه من المستحيل أن تكون قد ماتت

وإننى سأراها تدخل من هذا الباب !
آه كم مرة كنت أقول : صه ! إنها تتكلم !
اسمعوا ! هذا هو صوت يدها وهى تدير المفتاح !
انتظروا ! لقد حضرت ! اتركونى أستمع !
فهى هنا ، فى أحد أرجاء هذا البيت ، دون شك ! »

وبعد هذا الألم المروع الذى أفقد الأب عقله تحل السكينة مع الأيام فى قلبه ، فيستسلم لقضاء ربه ويعبِّر عن إيمانه بالحياة الآخرة التى هى غاية كل إنسان يعيش فى عالمنا الفانى . . .

إن أى قارئ يجد فى أشعار هوجو « صدى » لكل المشاعر الإنسانية ، فهو دائما كان يصف نفسه قائلاً إنه « الصدى » الذى يردد كل ما حوله من أحداث : كما يقول أيضاً إن لديه روحاً من الكريستال تعكس كل ما بداخله من أحاسيس ، أحاسيسه هو وأحاسيس الآخرين . أما إذا تكلمنا عن القيمة الجمالية لأشعار هوجو فنلاحظ أننا لا نجد عنده التلقائية التى تتميز بها أشعار لامرتين ، فبعكس « عاشق الفير » كان هوجو يدقق فى اختيار ألفاظه ويعتنى بالتراكيب اللغوية لأشعاره . لقد كانت كتابة الأشعار بالنسبة له حرفة وفنًّا فى آن واحد ، لذلك كان يعمل على إتقان هذه الحرفة والتقدم فى الفن .

وقد كان هوجو يتمتع بخيال خصب يوحى إليه بصور بديعة وتشبيهات جديدة تبهر القارئ ، ونود أن نذكر بهذه المناسبة أن فيكتور

هوجو كان أيضاً رساماً مجيداً ، يصور بالألوان ما يراه حوله من جمال الطبيعة . أما فى مجال الهارمونى فيعتبر هوجو موسيقاراً أجاد استعمال كل الإيقاعات ، فمن يقلب صفحات دواوينه يستمع إلى أجمل الألحان . . .

إن هوجو يسيطر على كل أدب القرن التاسع عشر ، وهذا لا يرجع فقط إلى أنه ولد مع القرن (١٨٠٢) وعاش ثلاثة وثمانين عاماً ولكن لعبقريته الفذة التى جعلته يجيد الكتابة فى كل فروع الأدب التى طرقها وللأثر العميق الذى تركه على المدارس الشعرية التى ظهرت فى عصره بل فى القرن العشرين أيضاً . هذا طبعاً بعد أن مرّ بفترة من الإهمال والنسيان تلت وفاته مباشرة (١٨٨٥) ولمكانته يطلق بعض النقّاد على القرن التاسع عشر : «عصر فيكتور هوجو» كما كانوا يشيرون إلى القرن الثامن عشر قائلين : «عصر فولتير» .

إذا كان الفريد دى فينييه لم يتمتع بنفس المكانة إلا أنه كان له لقبه الخاص فى مدرسة الرومانسية فهو معروف «بالشاعر الفيلسوف» كان فينييه شاعراً مقلاً لم يترك إلا ديوانين من الشعر ، والديوان الثانى الذى يضم أجمل أشعاره لم يظهر إلا بعد وفاته ، تحت اسم «الأقدار» وهو اسم إحدى قصائد المجموعة .

عاش فينييه تعيساً وقد انعكس ذلك فى أشعاره . التحق بالجيش بعد أن ولّت أيام انتصارات نابليون المجيدة ، فخابت آماله . حاول أن يدخل

البرلمان ليشارك فى الحياة السياسية مثل لامرتين وهوجو ، ولكنه سقط فى الانتخابات . وكان يشعر دائماً بالاضطهاد وبأن المجتمع يظلم الفنان ولا يعترف بعبقريته ، فآثر أن ينعزل عن هذا المجتمع فى برجه العاجى حيث قضى بقية عمره فى تمريض زوجته وفى كتابة الشعر الذى كان عزاءه الوحيد . إن كل تلك الظروف أضفت على شعره صبغة من التشاؤم ومن الحزن .

يعتبر فينييه المفكر والفيلسوف بين شعراء الرومانسية ، وتنبع فلسفته من شعوره بأن الشخص العبقرى يعيش وحيداً لأنه لا يفهمه الآخرون : إنه يقودهم نحو النور وهم لا يحبونه ، وهذا ما نجده فى قصيدة « موسى » (وهو موسى النبي الذى قاد اليهود وكان دائماً وحيداً) . ولكن هل يجد الشخص العبقرى العزاء والسلوى فى الحب ؟ هل يجد فى حنان المرأة عوضاً عن اضطهاد المجتمع له ؟ والرد يأتى بالنفى ؛ وكعادته دائماً لا يعبر فينييه عن ذاته وعن أفكاره مباشرة ، بل يحتمى وراء الرمز . وهو يقص علينا قصة شمشون ودليلة ، ثم يقول إن كل امرأة « دليلة » وإذن فالرجل لا يمكن أن يعتمد على الحب ، فالمرأة خائنة بطبعها . . . وحتى الطبيعة التى كانت دائماً للرومانسيين الصديقة والأم ، فهى بالنسبة لفينييه القبر الذى يُدفن فيه الإنسان . إنها تصم آذانها على صرخات الألم كما لا تحس بعبادة الآدميين الذين يفتنون بجمالها . إن هذا الجمال يتجدد كل عام ، فالطبيعة تولد من جديد فى كل ربيع ، لذلك فالشاعر ينصح عينيه اللتين

كانتا تعجبان بجمال الطبيعة ألا تحبا إلا من «لن تراه مرتين» أى الإنسان . . . ويفصح الشاعر عن عطفه تجاه الإنسانية المعذبة . وبينما شعراء الرومانسية الآخرون يتجهون نحو الله فى أحزانهم . ففينييه يقول إن الله لم يرد على صرخات المسيح عندما تضرّع إليه أن يبعد عنه كأس الآلام ، وهو على جبل الزيتون قبل صلبه . إذن فالله لن يكترث بعذاب الإنسانية ، وعلينا أن نتحمل صابرين كل ماكتب علينا من آلام دون أن نبكى أو نتوسل ، ففى ذلك إذلال لنا . علينا أن نقتدى بالذئب الذى عندما أصابه الصيادون وأحس أنه أشرف على الهلاك مات دون أن يطلق صرخة واحدة . . . هكذا ينصح الشاعر أن نأخذ أنفسنا بالشدّة ونروض أنفسنا على تحمل الشدائد بجنان ثابت .

ولكن مصير الإنسان ليس قاتماً إلى حد اليأس . إن هذه الفلسفة المتشائمة تترك لنا بصيصاً من الأمل ، فنرى أن فينييه يجد العزاء فى إيمانه فى تقدم الإنسانية وأنه يمكنه ككاتب أن يعمل من أجل غدٍ مشرق . فليعمل إذن بجدٍّ وحماس ، وحتى إن لم يجد التقدير فى حياته ومن مجتمعه ، فالأجيال القادمة سوف تعترف بفضله وتقنع بنتائج أبحاثه وعلمه . إن فينييه يقول لنا هذا عن طريق الرمز أيضاً : ففى قصيدته : **الزجاجة فى البحر** نرى بحاراً أشرفت باخرته على الغرق وقد أدرك أنه سوف يهلك مع كل من عليها ، ولذا فهو يسرع بإيداع أوراق فيها أبحاثه فى زجاجة يلقيها فى البحر موقناً أن أعماله لن تموت معه ، بل سوف

تصل – بعد تعرضها للعواصف والعراقيل – إلى بر الأمان مهما طالت رحلتها على أمواج الحياة العاتية . إن أعمال العبقرى حتى إن لم تنل التقدير الذى تستحقه فى حياته فهى على الأقل سوف تثمر يوماً . وهكذا يسهم الفنّان فى بناء مستقبل أفضل للإنسانية . إننا نجد سموًّا فى أفكار ألفريد دى فينيه ونتجاوب مع آلامه ونشعر بأحزانه ، فبالرغم من أنه لم يعبِّر عن ذاته بل غلَّف أحاسيسه بالرمز ، فنحن تصل إلينا رسالته ونفهم مقصده . إن مشاكلنا هى مشاكله ومشاكل الإنسانية بأسرها ، وقد حاول أن يجد لها حلاً كى يسعد الآخرين حتى لو هو عاش ومات تعيساً . . .

إن العذاب كان أيضاً من نصيب الشاعر ألفريددى موسيه الذى كانت قصة حبه للأديبة جورج صاند مصدر آلامه وإلهامه فى آن واحد . . . كان موسيه يعتبر « الطفل الشقى » فى أسرة الرومانسيين ، كان أصغرهم سنًّا ، وعندما بدأ يختلط بهم ويشترك فى ندواتهم الأدبية كان لم يتعد السادسة عشرة . لقد نشر أول دواوينه الشعرية وهو فى سن العشرين وكان يسخر فيه من مبالغات المدرسة الرومانسية ومن إفراط الرومانسيين فى البكاء . . . لم يكن يعلم أن القدر يخبئ له نفس المصير ، فقد كتب عليه أن يتألم هو الآخر ويبكى دموعاً من دم عندما تخونه جورج صاند وهو مريض مع الطبيب الذى جاء ليداويه ! لقد عرف مثل فينيه عذر دليلة فأودع صرخات قلبه المكلوم فى أجمل ماكتب عن عذاب الحب : ديوان **الليالى** الذى خلّد اسم صاحبه . لقد هدّت التجربة القاسية

الشاعر ، فظل صامتاً لمدة عام . فقد انتهت علاقته بصاند فى ١٨٣٤ ولكنه لا ينشر ليلة مايو إلا فى عام ١٨٣٥ ، ونسمع فى هذه القصيدة الشهيرة حواراً بين آلهة الشعر والشاعر ، وهى تحاول أن تحثه على الكتابة وترجوه ألا يستسلم إلى آلامه بل تطلب منه أن يجعل من فجيعته مصدراً للإلهام فتقول له آلهة الحب :

« لا شىء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم . . .

« . . . إن الأغانى التى تعبر عن عميق الأسى واليأس هى أجمل الأغانى » . . .

وتقص آلهة الشعر أسطورة الطائر البحرى الذى لا يعود إلى صغاره دون أن يجلب لهم طعاماً ، فلا يسعه إلا أن يقدم لهم قلبه يقتاتون منه بعد أن ضحى بحياته من أجلهم . على الشاعر إذن أن يغمس قلمه فى دمه ليكتب أشعاره . . . ولكن الشاعر لا يستجيب لدعوة آلهة الشعر ولا يرجع إلى قيثارته التى تظل صامتة ، فجرحه ما زال ينزف وهو يعتذر بأن آلامه أقوى من أن تحتملها القيثارة ، فهى قطعاً ستكسر من شدة الألم . ونراه فى ليلة ديسمبر (١٨٣٥) مازال يعانى من وحدة قاتلة ، فالوحدة هى الصديق الذى يلازمه كظلّه ، كأخيه التوءم . . . أما فى ليلة أغسطس (١٨٣٦) فنشعر أن الرغبة فى الحياة وفى الحب قد عادت إليه لتعطى حياته طعماً جديداً وهو يقول :

« بعد أن تعذبنا علينا أن نتعذب من جديد

يجب أن نحب دائماً بعد أن أحببنا » . . .

أى مرحباً بحب جديد حتى لو يصحبه العذاب ، فبدون حب لا معنى للحياة بل لاحياة ! أما فى الليلة الرابعة والأخيرة **ليلة أكتوبر** (١٨٣٧) فنجد فيها تحليلاً للتجربة التى مرّت بالشاعر وبما فيها من حب وبغض وغضب ، ثم تهدأ نفسه ويصفح عن حبيبته الغادرة ، ويحاول أن ينسى مع الأيام هذا الألم الذى اختفى وكأنه حلم قد ولّى . . . إن ذكرى الحب ربما تكون أجمل ما يبقى للإنسان . إن مجموعة « **الليالى** »وكذلك القصيدة التى عنوانها **ذكرى** والتى تضع النهاية لمأساة موسيه مع جورج صاند تعتبر من أروع ماكتب عن العذاب فى الحب وعن دور هذا العذاب فى حياتنا . فهذا العذاب يصهر العاشق فى بوتقته : لقد نضج موسيه بعد تجربته الأليمة وأصبح الطفل رجلاً ، بل أصبح شاعراً كبيراً من شعراء الحب ، يجد القراء فى صفحاته صدى لما يختلج فى قلوبهم من لوعة . إن هذا الذى كان يسخر من الشعراء الذين يبكون حبيبتهم مثل لامرتين بكى وأبكى هو الآخر ملايين القرّاء الذين أحبوه ، لأنهم أحسوا أنه – مثل الطير البحرى – يفتح صدره ليعطيهم قلبه ودمه . . . وإذا كان موسيه هو بين كل شعراء الرومانسية الشاعر الأكثر « ذاتية » فمن الغريب أنه أيضاً الشاعر الذى لم يبتعد عن الكلاسيكية فى أشعاره وفنه . لقد أخذ عن المدرستين معاً أفضل ما أعطيتا للأدب الفرنسى .

لقد قمنا بعرض سريع لأهم ما كتب « الأربعة الكبار » فى مجال الشعر الرومانسى ، وإذا حاولنا أن نقدم المسرح الرومانسى فنجد أيضاً نفس الأسماء ، لأن هؤلاء الشعراء الكبار قد كتبوا فى أغلب فروع الأدب !

المسرح الرومانسى :

أما الكاتب الذى لم يكتب أشعارا ، ولكن كان له شرف تقديم أول دراما رومانسية نجحت على خشبة المسرح ففتحت الطريق أمام هرنانى ، فهو إسكندر دوماس الأب . بعد أن قدم **هنرى الثالث وبلاطه** عام **١٨٢٩** قدم مسرحية أنطونى وبطلها يعتبر نموذجاً للبطل الرومانسى الذى يقسو عليه القدر دون ذنب اقترفه . إن أنطونى طفل غير شرعى لا يعرف له اسما ، ينبذه المجتمع ولا يتمكن من الزواج من حبيبته أديل . وعندما يلتقى بها بعد مرور الأعوام يعلم أنها متزوجة ويحاول أن يستميلها من جديد ويذكّرها بحبهما القديم . ولكن حين كانت على وشك الاستسلام له يعود الزوج فلا يجد البطل مخرجاً من هذا المأزق إلا أن يقتل حبيبته لينقذ شرفها وسمعتها قائلاً : « لقد قاومتنى فقتلتها ! » ومن مسرحيات دوماس الشهيرة أيضاً : « الفرسان الثلاثة » و « سيدة مونصورو » وهى كلها مسرحيات تاريخية ، وإن كان التاريخ فيها « مجرد مسمار تعلّق عليه اللوحة » كما يقول المؤلف . وقد لاقى مسرح دوماس نجاحاً لا بأس به على

المستوى الجماهيرى لما أثاره من الدموع شفقة ، على مأساة العاشقين . . .

إن مسرحيات هوجو كانت لها نفس النهايات المأساوية ! فهرنانى تنتهى بانتحار الحبيبين ليلة زفافهما بأن تعاطيا السم وانتحر أيضاً على جثتيهما من كان السبب فى موتهما ، وهكذا نرى على المسرح بركة من دماء . . . كما تنتهى المسرحية الشهيرة روى بلاس (١٨٣٨) بأن يقتل البطل – الذى كان أصلاً خادماً وأصبح رئيساً للوزراء – لأن أحد نبلاء إسبانيا يريد أن ينتقم من الملكة بأن يجعلها تحب هذا الشخص الحقير وهى تظنه أحد النبلاء – هذا النبيل الإسبانى عندما هدد الملكة بأن يفضحها إذا رفضت أن تتنازل عن عرش إسبانيا لتتبعه . يقتل روى بلاس دون سالوست ليخلّص حبيبته الملكة من تهديداته ثم يشرب السم هو الآخر بعد أن يطلب منها أن تصفح عنه لأنه خدعها . لا نجد عند أبطال هوجو الصراع الداخلى الذى تقوم عليه التراجيديا الكلاسيكية أساساً . فلا يتعمق المؤلف فى الدراسة النفسية لأبطاله فهم يجسدون الخير أو الشر ولا نجد فيهم العزيمة التى تدفعهم إلى الإقدام كأبطال كورنييه ، ولا نجد بينهم الأرواح الهائمة التى تضطرم بنار الرغبة مثل أبطال راسين . إذن فمسرحيات هوجو قيمتها جمالية قبل أن تكون درامية ، أى أن أشعاره البديعة هى التى تطرب المتفرج وهى التى خلّدت تلك المسرحيات التى ما زالت تمثل على خشبة مسرح الكوميدى فرانسيز بجوار روائع المسرح الكلاسيكى .

أما ألفريد دى فينييه فالذى بقى مما كتبه للمسرح فهو مسرحية **شاترتون** التى تحكى مأساة هذا الشاعر الإنجليزى . كان الشاعر بائساً ولا يجد عملاً . أجرّ حجرة صغيرة فى منزل أسرة جون بل وأحب زوجة جون كيتى . وكانت هى تعطف عليه وترثى لحاله ، وقد بدأت تحبه دون أن تدرى . . . وينتظر شاترتون خطاباً من أحد أصدقاء والده كان قد بعث إليه يستنجد به ، وعندما يأتى الرد أخيراً يكتشف الشاعر أن صديق والده يعرض عليه أن يعمل خادماً فى منزله ! فيجن جنون شاترتون ، وبعد هذه الإهانة ، وفى أقسى درجات اليأس يتعاطى السم – مثل كل أبطال الدراما الرومانسية ! – وهو يعترف لكيتى بل بحبه . . . فتحاول هى أن تعطيه أملاً فى الحياة فتفصح له بدورها عن حبها ، ولكن بعد فوات الأوان ! يلفظ شاترتون أنفاسه الأخيرة ، ومن هول الصدمة ، تقع كيتى بل ميتة بجواره . . . هكذا تنتهى مأساة الشاعر الشاب الذى خذله مجتمعه ولم يعطه المكانة التى يستحقها ولكن إن كانت أفكار فينييه هذه قد فقدت أهميتها مع الوقت ، فالذى يبقى على هذه المسرحية الرومانسية حتى الآن هو قصة الحب الرقيقة التى ربطت بين الشاعر وكيتى بل .

وقد لاقت مسرحيات ألفريد دى موسيه أيضاً النجاح فى عصره ومازالت تمثل على خشبة «الكوميدى فرانسيز» ، بل ربما مسرحيات موسيه هى أفضل ما قدمته الرومانسية للمسرح الفرنسى .

كتب موسيه دراما مأساوية هو الآخر وهى مسرحية لورزاشيو التى تدور أحداثها فى إيطاليا ، وهى تحكى قصة مقتل إسكندر دى ميديسيس بيد ابن عمه لورنزو الذى أراد أن يخلِّص مدينة فلورنسا من استبداد هذا الحاكم الطاغية . كان لورنزو منغمساً مع إسكندر دى ميديسيس فى الفسق والفساد وقد أراد أن يكفِّر عن خطاياه بأن يقوم بهذا العمل البطولى الذى فيه خلاص مدينته ، ولكن لم تأت الجريمة بالنتيجة المرتقبة فقد استولى على المدينة طاغية آخر ويظل لورنزو عبداً لفساده ، فمن الصعب على من تعوَّد على الفسق أن ينتشل نفسه من براثنه . . . وتنتهى المسرحية بمصرع لورنزا شيو الذى قتله أعوان الدكتاتور الجديد كوم دى ميديسيس إن أثر شكسبير واضح جداً فى هذه المسرحية فقد تأثر به موسيه وإن كان وضع كثيراً من نفسه فى هذه المسرحية ، فشخصية البطل فيها كل ملامح الشاعر ونجد فيها هذا الصراع الذى كان يدور فى نفسه بين الخير والشر .

ونحن نلتقى أيضاً بموسيه فى مسرحه الكوميدى ، فهو خلف كل أبطاله برغم تنوّع شخصياتهم . . . لقد أعطاهم روحه وآلامه وأحلامه وجعلهم يعشقون ويتعذبون ، فلا حب بدون عذاب فى عالم موسيه وربما فى عالمنا أيضاً ! وأعجب الجمهور أول ما أعجب بأسلوب موسيه التلقائى الخفيف النابض بالحياة وبالحب ، ولا شك أن هذا الأسلوب هو الذى كتب الخلود لتلك المسرحيات التى مازلنا نراها ونسعد لمشاهدتها .

ولكن إذا كان لنا – فى ختام هذا الاستعراض السريع للمسرح الرومانسى – أن نقوِّمه فيجب ألا نقارنه بالمسرح الكلاسيكى ، وإلا ظهر ضعفه ! كما رأينا أن المسرح الرومانسى باق لقيمته الجمالية لا لقيمته الإنسانية ، ونحن نظلم كتّاب المسرح الرومانسى إن قارنا بينهم وبين كورنييه أوراسين . وهل يمكن أن تقارن إحدى بطلات هوجو مثلا « بفيدرا » ؟ !

الرواية الرومانسية :

أما فى مجال الرواية فسهد ازدهاراً حقيقيًّا لها على أيدى الرومانسيين . انتشرت الرواية التاريخية تحت تأثير روايات سير والترسكوت من ناحية وللاهتمام الجديد الذى أعطته الرومانسية التاريخ من جهة أخرى .

نشر ألفريد دى فينييه روايته « **سان مارس** » عام ١٨٢٦ وتدور أحداثها فى عهد الملك لويس الثالث عشر والكاردينال دى ريشليو الذى كان يبطش بكل من يتصدى له مستغلاً ضعف شخصية الملك . وهو يكتشف المؤامرة التى دبرها ضده سان مارس وصديقه فيحكم عليهما بالإعدام .

أما روايات فكتور هوجو فهى أشهر من أن تقدم هنا ، فكل القراء فى العالم العربى قد أعجبوا **بالبؤساء وبأحدب نوتردام** .اللتين قدمتا إليهم فى ترجمة عربية شيقة أو على شاشة السينما العربية . ومن الروايات الشهيرة

أيضاً التى رأيناها كذلك على الشاشة الفضية روايات دوماس الأب : **الفرسان الثلاثة** ، **والكونت دى مونت كريستو** وكذلك رواية دوماس الابن التى طالما استثارت المشاعر وأبكت العيون : **غادة الكاميليا** .

وإذا كان الرومانسيون قد خلقوا الرواية التاريخية فبالنسبة للرواية العاطفية نراهم يكملون المسير فى الطريق الذى سلكه من قبلهم شاتوبريان (فى رواية **رينيه**) وسيناكور (**أوبرنان**)ومدام دى ستال (**كورين** ، **دلفن**) وهى روايات يعبر فيها البطل أو تعبِّر البطلة عما يدور فى نفسها من مشاعر متباينة . إن رواية كهذه تتصف بالذاتية مثل أى قصيدة شعر رومانسية . . .

وقد تألقت فى مجال الرواية العاطفية الكاتبة جورج صاند التى نعلم أثرها فى حياة موسيه وفى مؤلفاته والتى كان لها أيضاً علاقة شهيرة مع الموسيقار شوبان وغيرهما كثيرين !

حين بدأت جورج صاند تكتب نهجت نهج مدام دى ستال وأخذت تدافع مثلها عن حق المرأة فى الحب وتعبر عن سخطها ضد القيود التى يفرضها عليها المجتمع وهذا فى روايات مثل **فالنتين وإنديانا** . أما بعد عام ١٨٣٥ فقد حدث فى كتابات صاند نفس التطور الذى نراه فى الشعر الرومانسى ، فقد تبنَّت هى الأخرى القضايا الإنسانية مثل شعراء الرومانسية وعبرَّ عن أفكارها الاشتراكية وتطلعاتها السياسية . ولكن عندما تقدمت بها السن تركت جانباً عواصف القلب والأفكار

الاشتراكية ، فكتبت أفضل رواياتها : إنها تصف جمال الطبيعة فى هذه المنطقة التى ولدت فيها وتحكى قصص الحب المؤثرة التى تربط بين قلوب أهل الريف والتى تدور أحداثها فى إطار شاعرى بين مناظر الطبيعة الخلابة . نجد فى هؤلاء الأبطال التلقائية والبراءة التى يفتقر إليها أهل المدن . أما الطبيعة فتصورها الكاتبة وكأنها تمسك بريشة الفنان كما تسمعنا كل الموسيقى التى تنبعث من زقزقة الطيور وخرير المياه وأنين الرياح بين فروع الأشجار . . . إن روايات جورج صاند تعطينا خير نموذج للراوية الرومانسية العاطفية التى تخاطب القلب والخيال وإن كانت تبتعد عن الواقع فهى تقدم لنا واقعاً جميلاً وشاعرياً نتمنى أن نهرب إليه لنستريح من متاعبنا اليومية .

وإذا كان التاريخ أثبت اهتمام الرومانسيين بالرواية التاريخية ، فهذا يرجع بدون شك إلى المكانة التى احتلها التاريخ فى المدرسة الرومانسية وفى القرن التاسع عشر بصفة عامة . ومن الكتب التى أثرت على الأذهان آن ذاك وأعطت من كان عندهم الاستعداد للبحث والتدقيق وتقصى الحقائق ، الرغبة فى أن يصبحوا مؤرخين يبحثون فى تاريخ فرنسا ويقومون بتدوينه ، من هذه الكتب كتاب شاتوبريان **الشهداء** فالمؤرخ الفرنسى الكبير احوستان تييرى يعترف بفضل هذا الكتاب عليه ، فقد وجد طريقه كمؤرخ وهو يقلّب صفحاته . . .

وقد كان تييرى يؤمن أن تاريخ أى شعب يمكن تفسيره من خلال

النضال الذى يقوده هذا الشعب ضد من يحاول أن يستعمره أو يستعبده ، وكان يحافظ فى كتاباته على جو الحقبة الزمانية التى يصورها ويكتب بأسلوب روائى ممتع يعطى القارئ الإحساس أنه عايش فعلاً تلك الفترة ، وبهذا يتوصل المؤرخ إلى أن يجمع ، فى كتابة التاريخ ، بين الفن والعلم معاً .

ومن المؤرخين المشهورين أيضاً فى المدرسة الرومانسية المؤرخ ميشلييه وكان يتمتع بحس مرهف وقلب يخفق بالحب تجاه المحرومين والمظلومين . وقد كرّس كتاباته للدفاع عن حقوق الشعب الذى نشأ فيه ولأنه قد ذاق الحرمان وعرف الفاقة فى صغره فهو حين يتبنى قضايا الشعب إنما يتكلم من واقع خبرته وآلامه . . . ومن أعظم مؤلفاته كتاب **تاريخ فرنسا** الذى رجع فيه إلى القرون الوسطى ، ثم استعرض الثورة الفرنسية وما تلاها من أحداث حتى وصل بالقارئ إلى العصر الحديث (القرن التاسع عشر) وهو يؤمن بالتقدم وبأن أى أمة يمكنها ، بالعمل والمثابرة . أن تؤثر بنفسها على نفسها ولذلك فهو يؤكد : «أن فرنسا قد صنعت فرنسا» . وقد صنعت نفسها من خلال رجالها العظام وبفضلهم : إن بلداً مثل فرنسا كان له هذا الحشد الضخم من الكتاب والفنانين والفلاسفة لا يمكن إلا أن يكون عظيماً . إن كل صفحة من صفحات ميشليه تنبض بحب الوطن وبحياة عارمة نفحها لكل من حوله من أشخاص وما يحيط به من أشياء ، فهو يؤمن أن التاريخ هو عملية بعث الماضى السحيق .

وقد عاب عليه النقاد أنه يضع انفعالاته وأحاسيسه الشخصية فى كتاباته وبالتالى تنقصه أولى مميزات العالم وهى الموضوعية . مهما يكن من أمر فكتاب ميشليه « **تاريخ فرنسا** » يعد من روائع الأدب الرومانسى ويعتبر ملحمة فرنسا الكبرى . إن الكتابات التاريخية قد ولدت إذن مع هؤلاء المؤرخين ، ولكن يبقى على التاريخ أن يرتقى إلى الموضوعية كى يصبح علماً حقيقيًّا .

إن الرومانسية – كما رأينا – قد قدمت روائع فى جميع المجالات خلال فترة ازدهارها وقد كان للفن أيضاً نصيبه . . .

الفن الرومانسى :

اشتهر فى مجال الرسم الرومانسى الفنان جيروديه والفنان جيريكوه والفنان العظيم ديلاكروا . لقد كانوا يعبِّرون فى لوحاتهم وبألوانهم الدافئة عن كل ما كان كتاب الرومانسية يصورونه بكلماتهم من أحاسيس أو ما يضعونه من أحداث فشاتوبريان مثلاً يصف فى صفحات خالدة لحظة وفاة ودفن بطلته « أتالا » وجيروديه فى لوحة بديعة يصور لنا هذا المشهد الحزين ، وكذلك حين يكتب هوجو عن نكبات الشعب اليونانى وعن هزيمته فى الحرب نرى انعكاساً للمجازر البشرية التى راح ضحيتها النساء والشيوخ والأطفال فى لوحة ديلاكروا الشهيرة : «مذابح كيو» :

وفى مجال النحت أيضاً نجد فنانين مثل دافيدو رود الذى ترك أخلد

أعماله على جدران قوس النصر فى باريس . فهو الذى نحت البارلبيف الذى اشتهر باسم « الرحيل » ونرى فيه الجنود يستعدون للسفر إلى الحرب وكلهم حماس . . . . وقد أشار النقاد إلى هذا العمل الرائع قائلين إنه « مرسييز من احجر » بمعنى أنه يلهب الحماس ويثير الوطنية فى النفوس مثل ما تفعل « المارسييز » التى أصبحت السلام الوطنى الفرنسى فيما بعد . . .

أما فى الموسيقى الرومانسية فمن لم يسمع ولم ينفعل بموسيقى شوبان ؟ ! إن هذا الموسيقار البولاندى الأصلى والذى ربطت بينه وبين جورج صاند قصة حب انتهت بالفراق ، كان يضع موسيقاه وكأنه شاعر يؤلف قصيدة بديعة يعبِّر فيها عما يجيش فى صدره . إن مؤلفاته الموسيقية المعروفة باسم « البولونيز » كانت تتغنى بحب وطنه الأصلى بولندا مثل أى ديوان شعر ! أما الموسيقار الرومانسى برليوز فقد كان يتناول فى موسيقاه بعض القصص التى تناولها الكتاب ، فنجد مثلا بين مؤلفاته الموسيقية قصة « فاوست » التى ألهمت المؤلف الألمانى جوته ، وهى تعتبر من التراث الرومانسى العالمى .ونجد فى موسيقاه نفس الأحاسيس التى تنبض بها قصائد الشعراء ولوحات الفنانين .

إن الفن إذن جزء لا يتجزأ ، وهو تعبير عن الشعور الإنسانى سواء بالكلمات ، بالألوان أو بالأنغام . الفن مهما تعددت وسائله فإنما يخاطب وجداننا وينفذ إلى قلوبنا وقد كانت هذه الغاية الأولى للرومانسية .

وإذا كانت الرومانسية قد بلغت غايتها وقدمت خلال فترة ازدهارها روائع تفخر بها الإنسانية – وهذا فى جميع المجالات – فما الذى جعل القراء يسأمونها وينصرفون عنها شيئاً فشيئاً ؟ ! ما السبب أن فترة ازدهارها هذه لم تتعد العشر السنوات ؟ ! .

الجزء الرابع

اندثار الرومانسية

قديماً قال الحكماء : «الشيء الذى يزيد على حده ينقلب إلى ضده» . . . ويبدو أن هذا ما حدث فعلاً مع الرومانسية ! فقد أسرف أدباء الرومانسية فى البكاء على المحبوبة وفى التعبير عن الذات حتى انبرى أحد أنصار الرومانسية العتاة ينتقدهم . . . انشق تيوفيل جوتييه عن صفوفهم – ونحن نذكر كيف كان يقف على رأس الرومانسيين يوم «موقعة» هرنانى – وعاب عليهم حتى اهتماماتهم الفلسفية والإنسانية ونشاطهم السياسى منادياً بمبدأ «الفن للفن» . فنى نظره يجب أن يكون الفن لنفسه الوسيلة والغاية ، وألا يستخدم لأغراض غير جمالية ، فهو يؤمن أن كل شيء مفيد لا يمكن أن يكون جميلاً . وقد كتب يقول : «إن الشيء الجميل حقًّا هو الذى لا يمكن أن يعود علينا بأى فائدة ، فكل ما هو مفيد قبيح لأنه يعبِّر عن احتياج وكل احتياجات الإنسان وضيعة وكريهة مثل طبيعته الضعيفة العاجزة» . . . كتب جوتييه هذا عام ١٨٣٤ أى أنه بدأ يهاجم الرومانسية وهى فى أوج مجدها . أما فى عام

١٨٤٠ ، مع بدء اندثار الرومانسية ، فقد أخذ أثر جوتييه يتزايد ، فالتف حوله مجموعة من شباب الشعراء يؤمنون بمبادئه . وأسسوا مدرسة « الفن للفن » وهى المدرسة التى فتحت الطريق للمدرسة المسماة « بالبرناس » وهى تعتبر الرد الفعلى الطبيعى ضد مبالغات الرومانسية ، فهى تنادى بالموضوعية بدلاً من الذاتية ، وتطالب الكاتب ألا يظهر شعوره الشخصى فى أى عمل فنى . إن هذه المدرسة الشعرية كانت نظير الواقعية فى الرواية – على أى حال فإن انتشار هذه الأفكار الجديدة كانت بمثابة ناقوس الخطر بالنسبة للرومانسية وكانت تشير إلى أن الأذهان بدأت تنصرف عنها وتعلن أفول نجمها .

أما الهزيمة المؤكدة التى حاقت بالرومانسية فكانت فى نفس الميدان الذى عرفت فيه الانتصار الباهر : المسرح ! بل إن هزيمتها كانت على يدى نفس الشخص الذى قادها إلى النصر : هوجو ! فنى عام ١٨٤٣ – هذا العام المشئوم الذى فقد فيه فلذة كبده ليوبولدين وزوجها – سقطت مسرحيته « **البورجراف** » . . . كانت هذه المسرحية من نوع الميلودراما الملحمية وكانت تدور أحداثها على ضفاف الراين فى ألمانيا . إن أحداثها المتشابكة والبعيدة كل البعد عن الواقع لم تعجب الجمهور الذى لم يستقبل المسرحية بالصفير أو بإلقاء الطماطم على الممثلين ، فهو لم يكلف خاطره حتى بالحضور إلى المسرح ، بل قاطع المسرحية ! ثم أقبل هذا الجمهور ، فى العام نفسه ، على مسرحية **لوكريس** للكاتب المغمور بونار

لأنه وجد فيها بساطة ووضوح المسرح الكلاسيكى الذى بدأ يتوق إليه من جديد . . .

وهذه العودة إلى المسرح الكلاسيكى كانت رد فعل طبيعياً بعد أن سئم الجمهور الدراما الرومانسية بتعقيداتها وتحررها اللغوى . . .

ولكن هذه الهزيمة المنكرة لمسرحية هوجو – إن كانت أبعدته عن المسرح – فهى لم تؤثر على عطائه الفنى الذى سيستمر حتى نهاية القرن تقريباً (فقد توفى هو عام ١٨٨٥) وإن كان قد انقطع عن الكتابة لمدة عشر سنوات بعد صدمة وفاة ابنته . لقد عاد إلى الكتابة عام ١٨٥١ وهو فى المنفى وأول ما نشر كان ديوان العقابات عام ١٨٥٣ . ولكن إذا كان هوجو استمر فى كتابة الروائع فى مجال الشعر والرواية بعد ١٨٥٠ وحتى نهاية حياته فما الذى حدث للرومانسية كمدرسة بعد هزيمة البورجراف ! ! .

لقد أخذ البناء الرومانسى يتصدع رويداً رويداً فبجانب انشقاق جوتييه كان ألفرد دى موسيه هو أيضاً – الذى سبق أن قلنا إنه أقرب الرومانسيين إلى الكلاسيكية – قد بدأ يسخر من الرومانسية منذ عام ١٨٣٦ . أما الناقد المشهور سانت – بوف فكتب فى عام ١٨٤٣ – بعد سقوط مسرحية هوجو – أن الرومانسية تحتضر وأن الجمهور انصرف عنها وهو فى حالة ارتقاب : ينتظر ما هو جديد ويحتاج إلى مدرسة أدبية أخرى . .

وهكذا أخذت شعبية الرومانسية تتناقص وينفض من حولها المعجبون . . . بل إن شاعراً مثل لامرتين انصرف للعمل السياسى وعندما حدثت ثورة عام ١٨٤٨ التى قلبت الملكية أصبح وزيراً للخارجية ، وكان يأمل أن يصل إلى رئاسة الجمهورية ، ولكن لويس نابليون – الذى سيصبح فيما بعد نابليون الثالث – أخذ مقاليد الحكم ! وهكذا نرى أن أنصار الرومانسية أنفسهم بدءوا يبتعدون عنها أو ينشغلون عنها أو يسخرون منها . . .

فكيف تقاوم الرومانسية التيار المضاد – تيار مدرسة الفن للفن والبرناس – وقد شحب لونها وضمر عودها وهجرها الأصدقاء القدامى ؟ !

لقد ناضلت عشر سنوات حتى ثبتت أقدامها وناضلت أيضاً عشر سنوات قبل أن تستسلم أخيراً ، ويحرر لها مؤرخو تاريخ الأدب شهادة وفاة بتاريخ ١٨٥٠ . . .

ولكن هل ماتت حقاً الرومانسية ؟ ! ربما انتهت فى عام ١٨٥٠ – وهو التاريخ الذى اتفق عليه مؤرخو الأدب كنهاية للرومانسية – ولكنها تركت بصماتها على الأدب الفرنسى المعاصر ، بل على أدبنا العربى المعاصر أيضاً ومن يترك أثراً بعده يستمر ويخلد حتى بعد أن يموت . . .

الخاتمة

إن الرومانسية لم تترك أثرها على الأدب الفرنسى المعاصر فحسب ، فالتيار الرومانسى ظل أيضاً موجوداً – وإن قلَّت قوته – فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، يتداخل مع تيار الموضوعية فى الشعر (البرناس) ثم مع الرمزية . أما أدب فرنسا فى القرن العشرين ففيه الكثير من سمات الرومانسية . إن ثورة الفرد ضد كل القيود التى تعتبر من أسس الأدب الفرنسى والأوربى المعاصر موروثة قطعاً عن الرومانسية وكذلك حب الكاتب لكل ما يخرج عن المألوف . . . فالبطل الرومانسى تماماً – مثل البطل الحديث – يشعر أنه مختلف عن الآخرين ، ومتميز عنهم . كان الكاتب الرومانسى يحب الانفعالات القوية ويثور ضد التقاليد والعرف . وهو يستوحى موضوعاته أينما يجدها ويرفض أن يختار مثل كاتب الكلاسيكية . فهو يقول إن ما فى الطبيعة هو أيضاً فى الفن أو بمعنى أدق يمكن أن يكون مصدر إلهام للفن . ونحن نجد عند أكبر كتّاب فرنسا المعاصرين نفس هذه الثورة العارمة على التقاليد فى الحياة وعلى القيود فى الفن ، ونذكر من بينهم أندريه جيد ، أندريه مالرو ، هنرى دى مونترلان .

كما أورث الرومانسيون – بين ما أورثوه لكتّاب عصرنا – هذا القلق الذى نلتقى به فى معظم مؤلفاتهم . انتابهم القلق لأنهم كانوا يخشون ألا تأتى ثورتهم بالثمار المرتقبة . أما كتاب القرن العشرين فما أحوجهم إلى القلق ! إن هؤلاء الكتّاب عايشوا أهوال حربين عظميين ورأوا العالم يضطرم والإنسان يتهاوى ، وقد أصبح لا قيمة له ، والمبادئ تنهار . إن قلق الرومانسيين أصبح لا يكفى ! ولذا فبعض كتّاب فرنسا المعاصرين يتكلمون عن « العبث » ، العبث الذى يسود هذا العالم المادى الملتهب دائما بالشهوات والحروب . . . ومن بين هؤلاء الكتّاب كامو وسارتر . وكتاب آخرون أخذوا يمجدون الإنسان ويتغنّون ببطولاته مثل مونترلان وسانت أكسوبيرى ، أما بعضهم الآخر فلاذوا وحاولوا أن يبرزوا عظمة الروح وأن يتمسكوا بإيمان لا يتزعزع فى الله ومنهم برنانوس ومورياك .

التعبير عن الذات ومن خلالها ، التعبير عن مشاكل الإنسانية بأثرها ، القلق ، الحب ، الثورة على كل القيود ، الموت ، الله : نفس « تيمات » الرومانسية نجدها إذن فى الأدب الفرنسى المعاصر بل فى الأدب العالمى كله ،. ولكن كيف نفسر هذا ؟ ربما بأن لا جديد تحت الشمس منذ جاء الإنسان على أرض الشقاء هذه . . . على أى حال فأثر الرومانسية واضح على الأدب الحديث سواء كان أجنبياً أو عربياً .

عرف العالم العربى الرومانسية عن طريق الترجمات طبعاً حين ترجم مصطفى لطفى المنفلوطى مجدولين وسيرانودى برجراك وبول وفرجين كما

ترجم أحمد حسن الزيات آلام فرتر لجوته وقد خفق قلب ملايين القراء وبكت عيونهم وهم يقرءون مآسى هؤلاء الأبطال . . .

كانت الرومانسية قد انقضى عصرها فى بلادها (فرنسا ، إنجلترا ، ألمانيا) ولكنها حين وصلتنا كنّا نمر بمرحلة من تاريخنا تماثل فى ظروفها الاجتماعية والسياسية العصر الذى ولدت فيه الرومانسية فى أوربا ، كنّا نمر بمرحلة انتقال وكنّا شغوفين بكل ما هو جديد ، توّاقين إلى التحرر من كل القيود . أحس كتابنا أن الرومانسية إذن هى أفضل وسيلة للتعبير عما يجيش فى صدورهم . إن تأثر روّاد الرواية المصرية مثل محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم بالأدب الأوربى وخاصة بأدب فرنسا التى سافرا إليها وانبهرا بثقافتها وحضارتها لم يعد موضع جدل . بل إن **زينب** أول رواية مصرية كتبت فى فرنسا عام ١٩١٠ وكذلك **عودة الروح** فى عام ١٩٢٧ . وفى الروايتين نلتقى بالكاتبين من خلال شخصية البطل ، فالمؤلف يعبّر عن ذاته ، عن آماله وآلامه ، عن حبه وبغضه تماماً كما كان يفعل شاتوبريان أو ألفريد دى موسيه أو جورج صاند . ومثل ما حدث فى أوربا ، اصطدم التيار الرومانسى بتيار واقعى . فمع تغيير طبيعة الحياة فى العالم العربى وتحت تأثير الحركة الإنسانية التاريخية والظروف الاجتماعية الجديدة يشعر الأديب أن عليه أن يغيّر هو الآخر فى أساليب تعبيره ، وهذا ما حدث مع توفيق الحكيم فى **يوميات نائب فى الأرياف** (١٩٣٧) ومع يحيى حقى الذى كتب **قنديل أم هاشم** عام ١٩٤١ ومع محمود

تيمور (**سلوى فى مهب الريح** : ١٩٤٣) وقد أعطانا هذا التيار الواقعى واحداً من عمالقة الرواية : نجيب محفوظ . كما ينتمى إلى نفس المدرسة كتّاب مثل عبد الرحمن الشرقاوى ، يوسف إدريس ، إحسان عبد القدوس . ولكن يستمر التيار الرومانسى يعطى ثماره : فهل يمكن أن نغفل الرومانسية والشاعرية التى نجدهما فى روايات يوسف السباعى أو محمد عبد الحليم عبد الله ؟ !

إذا كانت الواقعية تبدو أكثر إيجابية لأنها تواكب أكثر التطور الذى حدث فى العصر الذى نعيشه إلاَّ أننا مازلنا نصبو أحياناً إلى مزيد من الرومانسية . فالرومانسية تنتشلنا من عواصف العالم لتصل بنا إلى مرفأ الأمان ، وهى الواحة الخضراء الوارفة الظلال التى نبحث عنها فى صحراء الحياة المادية المملوءة بالأزمات والحروب ، كى نستريح قليلاً قبل أن نستأنف المسير . . .

المحتويات

صفحة

صفحة

الكتاب القادم

القرآن وحياتنا الثالثة

محمود بن الشريف

رقم الإيداع	١٩٧٧/٥١٥٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ١٠٤ - ٣

١٤٤/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هــذا الكتـا ب

يعرض هذا الكتاب تاريخ الحركة الرومانسية فى فرنسا التى استمرت ثلاثين عاما وتركت آثارها على الأدب الفرنسى والأوربى والعالمى على السواء . لقد ثار الكتاب الرومانسيون ضد التقاليد والعرف . وعاشوا فى قلق دائم أبدعوا فى ظلاله ذلك الإنتاج الوفير الذى مهّد فيما بعد للمدارس الأدبية الأخرى . ويفرد الكتاب فصلاً خاصاً عن تأثر الأدب العربى بتيار الرومانسية . والأعمال التى أبدعها أدباؤنا فى ظل هذا التيار .

